المدارس الداخلية:
أعراف وتقاليد
بإندونيسيا

بقلم: د. محمد تاتا توفيق - إندونيسيا

■ التعليم عند المسلمين هو نشاط دعوي وتبليغي في آن معًا، فالدعوة تحصل بالاتباع وقبول المدعوين ما يدعون إليه، أما التبليغ فهو نقل المعرفة، وكلاهما مأمور به كما هو في أعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهد نبوته؛ عهد الدعوة، والتبليغ.

وهذا هو الإطار الذي تتبعه المدارس الداخلية الإسلامية في تربية الطلاب ودعوتهم إلى سبيل الله وتبليغ ما علّمه الله سبحانه وتعالى للبشرية عن طريق رسله. وإذا نظرنا إلى الأمر فإن نشاط الدعوة والتبليغ في سياق التعليم الحالي يجب أن يُعاد إحياؤهما باعتبارهما من القيم التربوية الأصيلة.

إن ما تفعله المدارس الداخلية الإسلامية في تعليم طلابها يختلف عن التعليم العام الذي يمارس على نطاق واسع خارج المدارس الداخلية الإسلامية. يمكن ملاحظة الفرق من خلال أهدافها، حيث تولي المدارس الداخلية الإسلامية أهمية أكبر لإعداد المجتمع من خلال تثقيف أعضاء المجتمع المستقبليين، في هذه الحالة لا يختلط الأمر مع أهداف التدريب وتعليم المهن والأعمال. ومفهوم التعليم الذي تقوم به المدارس الداخلية الإسلامية يتمثل في شعاره: «الإيمان – العلم – العمل».

ولكي نرى التربية الأخلاقية في المدارس الداخلية الإسلامية بإندونيسيا، نعرض في المقال التالي توصيفًا شاملًا لها.

المدرسة الداخلية الإسلامية كبيئة تعليمية:

عرّف الإمام الزركشي (مؤسس مدرسة كونتور الإسلامية الداخلية الحديثة) المدارس الداخلية الإسلامية أنها مؤسسات تعليمية إسلامية بنظام داخلية، يكون «كياهي» (يعني به شيخ المعهد أو رئيس المدرسة الداخلية الإسلامية والخبير الديني والداعي إلى الله) هو شخصيتها المركزية، والمسجد هو مركز الأنشطة، والتعليم الديني الإسلامي تحت إشراف «كياهي» هي أنشطة الطلاب الرئيسية.

المدارس الداخلية الإسلامية هي مجموعة من الناس تُجمع في مكان معين بهدف واحد وهو دراسة الدين، وتمثل هذه المجموعة المتجانسة مجتمعًا تعليمياً، يضم طرفي التعليم؛ المعلم والطالب، ولديهم قواعد ونظم معينة – مكتوبة وغير مكتوبة – وفقًا للرؤية والرسالة التي يتم تنفيذها من خلال شخصية مركزية هي شخصية «كياهي». إنها بيئة مرتبة في أنماطها السلوكية وأنشطتها الدراسية والعمل لتلبية الاحتياجات، والعبادة كشكل من أشكال تطبيق المعرفة، والتواصل الاجتماعي كشكل من أشكال ممارسة المعرفة وخدمة الآخرين. كل شيء يستمر في جو من الإخلاص والبساطة والاستقلال والحرية وتعزيز الأخوة بين المسلمين.

ومن هنا نستطيع أن نرى بيئة منظمة تحت إشراف قائد (كاريزمي) يقوم دائمًا بتصميم الأنشطة وإنشائها وصيانتها وتقييم تقدم الأنشطة في بيئته. إن هذه البيئة تبني ثقافة مدرسية إسلامية داخلية فريدة تتأثر إلى حد كبير بكيفية ممارسة الطالب لدينه، سواء من حيث الملابس أو الأخلاق أو القراءات أو الفهم والمعتقدات التي

يلتزم بها.

ونهج المدارس الداخلية الإسلامية في تعليم طلابها على أساس القدوة باقتداء السلوك المثالي الذي يتسم به المعلم أو الأستاذ (لقب خاص للمدرس القائم بتعليم الدين الإسلامي). ومن الناحية المنهجية، يمكن القول إن المدارس الداخلية الإسلامية تطبق أساليب مختلفة في الوعظ انطلاقًا من الحكمة التي هي طريقة وضع الشيء في مكانه. والموعظة الحسنة التي تعني النصح والتذكير بعواقب الفعل، وتعني أيضا الأمر بالطاعة وتحفيز الإرادة بالطاعة. وطريقة القدوة الحسنة هي تقديم مثال أو نموذج يحتذى به لفعل شيء جيد، وكذلك سبب الأعمال الصالحة؛ ثم المجادلة بالتي هي أحسن بالقدرة على تقديم حجج محددة وقوية.

كيف تقوم المدارس الداخلية الإسلامية بتكوين الشخصية؟

الشخصية قوامها الجودة الأخلاقية، والجودة العقلية، وقدرة الشخص على مواجهة المشاكل المختلفة، لذا فإن كلمة (الأخلاق) ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالجودة والأسلوب (السلوك) والعقلية (طريقة التفكير والتصرف) والتي تسمى في اللغة الدينية "الأخلاق الكريمة" أو السلوك النبيل.

كما ذكرنا في بداية هذا المقال، فإن المدارس الداخلية الإسلامية تظهر كمجال ونشر وغرس التعاليم الإسلامية في المجتمع الإسلامي. وبالطبع فإن الخطوات المتخذة هي خطوات دعوية أيضاً، والأساليب مستخرجة من القرآن والسنة، ومن منهج العلماء في الدعوة: «صبْغَة الله ومن أحسن من الله صبْغةً» (البقرة: من الآية ١٣).

وتتمثل تلك الخطوات فيما يلي:

أولاً: بناء ثقافة المدارس الداخلية الإسلامية: ونقصد بثقافة المدرسة هي مجموعة من القيم والأعراف والتقاليد والسلوكيات التي يمارسها جميع أعضاء المجتمع المدرسي.

ثانياً: من حيث المنهجية، تعتقد المدارس الداخلية الإسلامية أن الكلام وحده ليس بكافٍ في غرس الشخصية أو الأخلاق بل من خلال التعويد وممارسة الانضباط بالقدوة. وهذا يعني أن الشخصية الجيدة يمكن إدخالها من خلال سلسلة من الأنشطة الفعلية التي يضطلع بها الطلاب بشكل مباشر، مع إعطائهم شرحًا لمغزى وأسرار كل هذه الأنشطة.

وكثير من الأنشطة التي تغرس الانضباط

والقيـم الأخلاقيـة تعـد أنشـطة لا صفيـة، تكـون خـارج الفصول، وهي جزء من مجتمع المدرسـة الداخلية الإسـلامية الذي يشـكل سكانه المجتمع التعليمي؛ الذي يتكون من كياي وأستاذ وطلاب.

ثالثـاً: يتعلق بالمواد أو المـواد التعليمية الخاصة بتعليـم الأخلاق في المدارس الداخلية الإسـلامية. في المسـتوى الأساسـي، يتعلـم الطـلاب آيـات مـن القـرآن الكريم ذات صلـة بالأخـلاق الكريمة المرتبطـة بالسـلوك الـذي يوصـي بـه الإسـلام. ويتـم تضمين ذلـك الموضـوع الأخلاقي في درس التفسـير للصف الأول، ويـنـدرج أيضًا ضمن مادة الحديث للصف الأول. وهنـاك درس المحفوظات المقتبسـة مـن أقـوال العلماء والأدبـاء من حكم وأمثال وقصص مما يدرس منها الطلاب محاسن الصفـات والمواعـظ الحسـنة بنـاءً لشـخصياتهم الشريفة وكلها باللغة العربية.

رابعاً: أنشطة تدريبية في فن الكلام كوسيلة لتنمية شخصية الطلبة. وباسـتخدام رأس المال المادي والمعنوي الذي تم الحصول عليه من الموضوعات المختلفـة المذكـورة أعـلاه، يتم بعد ذلـك تنفيذ عملية التعزيز من قبل الطلاب أنفسهم من خلال برنامج ممارسة الكلام والتحدث أمام الجمهور.

خامسـاً: تتضمن برامج الطلاب التعليمية دراسة للشخصيات، وبالنسبة لكبار السن منهم في الصف الخامـس والسـادس، يُمنحـون الفرصة لتدريس دروس إضافيـة في فتـرة مـا بعـد الظهـر – بيـن السـاعة الـ١٤ والـ١٥. وهذا له أيضًـا قيمة تعليمية تتعلـق بالشـخصية، حيث يعتـادون على التدرب علـى تصرفـات المدرسـين، وتحمـل مسـؤولية التدريـس. بالاختصار، إنهم يشـعرون فعلياً بأنهم مدرسون بكل التزاماتهم ومعاييرهم. ومن خلال هذه العملية يمكن ترسـيخ شـخصية المعلم في نفوس الطلاب.

سادسـاً: التدريـب على القيـادة باعتبـاره تعليماً للأخلاق، ففي المدارس الداخلية الإسـلامية، تتاح الفرصـة للطـلاب ليشـاركوا في إدارة الجمعيـات الطلابيـة بـدءًا مـن مسـتوى الفصـل، والغرفـة، والسـكن، إلـى مسـتوى المدرسـة. وبذلـك تتاح لهـم فرصـة تنظيـم النشـاط وقيادتـه وتقييمـه وتصميمـه، كمـا أنهم يشـاركون بشـكل فعال في مختلـف اللجان. ومن خلال هـذا الدور، يتعلمون أن يكونوا مسـؤولين، وأن يتخـذوا القرارات، وأن يخططـوا ويوجهوا، حتـى يصبحوا بدورهـم أفراداً ليسوا مستعدين للقيادة فحسب، بل مستعدين أيضاً لأن يُقادوا.

سـابعاً: خدمـة المجتمـع، فالمـدارس الداخليـة الإسـلامية بُنيـت على أيـدي الطلاب، فهـم لذلك يشـاركون دائماً في مشـاريع التطوير المختلفة في

هذه المدارس.

ثامناً: المحاضرات العامة حول الآداب والسلوك، هذا النشاط يقدمه رئيس المعهد أو كياهي قبل العطلات المدرسية. وفي هذه المناسبة، ألقى كياهي مختلف المعايير وقواعد السلوك التي تنطبق في المجتمع، بدءًا من آداب التعامل العامة، وأدب المشي، والكلام، واللباس، وحضور الاحتفالات الرسمية، إلى آداب الشكر والاعتذار. بالإضافة إلى ذلك، فهو يوفر أيضًا طرقًا لتنظيم الأوقات تنظيما إيجابيا.

تاسعاً: التعزيزات التي يقوم بها كياهي في مناسبات مختلفة، وهذا له معنى كبير في تعليم الشخصية، والتركيز على غرس روح العمل المثابر، والإخلاص، وحب المعرفة والدراسة، والتعلم المستدام، وغيرها من التعزيزات والتحفيزات ينفذها كياهي في مناسبات معينة.

عاشراً: ما يتعلق بالسلطة والثقة، وهما ما اهتمت بهما المدارس الداخلية الإسلامية اهتماماً كبيراً باعتبارهما رأس مال للمعلمين. إن ثقة الطلاب في المدرسة وفي التعليم المقدم هي رأس مال في التعليم، ولهذا السبب يجب أن تكون المدارس الداخلية الإسلامية هي المرجعية للطلاب من حيث نظمها وقادتها، ومدرسوها، والاختبارات التي تقام فيها.

تعني كلمة السلطة القدرة على التحكم والتأثير على الآخرين من خلال المواقف والسلوكيات التي تحتوي على القيادة؛ لذا فإن معنى كلمة (السلطة) يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالقيادة والسلوك والجاذبية والطاعة والاحترام. كان للمعلمين التقليديين طريقتهم الخاصة في تنظيم العلاقة بين المعلم والطالب. بناء على ذلك فالمدارس الداخلية الإسلامية تقوم بالتوجيهات والإرشادات في كيفية التعامل بين الطلاب والمعلمين في مطلع كل سنة دراسية.

الخاتمة:

يعلمنا الإسلام أن الإنسان يولد على الفطرة، كصفحة بيضاء جاهزة للكتابة عليها أو رسمها بصور وكتابات مختلفة حسب رغبة الوالدين.

والمدارس الداخلية الإسلامية حققت مفهوم التربية التي هي جهد يبذله الكبار عمداً للتأثير على الأطفال بأنواع مختلفة من التأثيرات المختارة لمساعدة نمو الطفل من النواحي الجسدية والعقلية والسلوكية حتى يصل إلى النضج تدريجياً. لذلك، فإن تربية الشخصية الجيدة، يجب أن تكون على أيدي أشخاص تتوافر فيهم مقومات الشخصية الإسلامية، و(مؤسسات وأنظمة) تتكامل بعناصر الشخصية الإسلامية ومنهجيتها وسلوكها.